نقيل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٣٥ — سبحان الله !

في (بغية الوعاة) : الشيخ ضياء الدين القرمي العفيف العلامة المتفنن[1] كان إماماً عالماً بالتفسير والرواية والمعاني والبيان والفقه ، وكانت لحيته طويلة بحيث تصل إلى قدميه ، ولا ينام إلا وهي في كيس ، وإذا ركب تتفرق فرقتين . وكان عوام مصر إذا رأوه يقولون : سبحان الله ! فكان يقول : عوام مصر مؤمنون حقاً لأنهم يستدلون بالصنعة على الصانع[2] ...

٣٣٦ — ألم تسمع بفتكة جساس ؟

أبو بكر بن جزي في طبيب يهودي :

ورُبَّ يهوديّ أتى متطبباً ليأخذ ثارات اليهود من الناس
إذا جسّ نبضَ المرء أودى بنفسه
سريعاً ، ألم تسمعْ بفتكة جسّاس؟!

٣٣٧ — كنت أكره ازدحام الصحفيين

في (ألف با) لأبي الحجاج البلوي : دخل جحا[3] ذات يوم دار الرحا فجعل يأخذ من قمح الناس ويجعله في قفته فقيل له : لأي شيء تضع هذا ؟ فقال : لأني أحمق . فقيل له : فلمَ لا تجعل شيئاً من قمحك في قفاف الناس ؟ فقال : كنت أكون إذن أحمقين ...

٣٣٨ — ألقه مقام هزؤ

في (سرح العيون) لابن نباتة المصري : يروى أن المأمون كان قد انحرف عن سهل[1] بن هرون إلى أن دخل عليه يوماً فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ظلمتني وظلمت فلاناً الكاتب . فقال : ويلك وكيف ؟! قال : رفعته فوق قدره ، ووضعتني دون قدري ، إلا أنك في ذلك أشد ظلما . قال : كيف ؟ قال : لأنك ألقته مقام هزؤ ، وألقتني مقام رحمة . فضحك المأمون ، وقال : قاتلك الله ما أهجاك ! ورضي عنه

٣٣٩ — ولكن سليقي أقول فاعرب

في (تاريخ اليمن) لنجم الدين عمارة اليمني : جبلا عكاد[2] فوق مدينة الزرايب وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم ، لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا قط بأحد من أهل الحاضرة في مناكحتهم ولا مساكنتهم . وهم أهل قرار لا يظعنون عنه . ولقد أذكر أني دخلت زبيد في سنة (٥٢٠) أطلب الفقه دون العشرين ، فكان الفقهاء في جميع المدارس يتعجبون من كوني لا ألحن في شيء من الكلام ، فأقسم الفقيه نصر الله بن سالم الحضرمي بالله لقد قرأ هذا الصبي في النحو قراءة كثيرة . فلما طالت المدة والمخالطة بيني وبينه صرت إذا لقيته يقول : مرحباً بمن حنثت في يميني لأجله . ولما زارني والدي وسبعة من إخواني

---

(١) أنكر أستاذ كون (المتفنن) في العربية إذ لم يجدها في (القاموس) واللفظة في اللغة وفي كلامهم . وأورد (الأساس) الفعل و (التاج) المصدر و (اللسان) الاسم والمصدر

(٢) السيوطي : وقع في كلام الشيخ ضياء الدين اطلاق (الصانع) على الله وهو جار في ألسنة المتكلمين ، وانتقد عليهم بأنه لم يرد اطلاقه على الله وأسماؤه توقيفية . وأجاب التقي السبكي بأنه قرىء شاذاً : (صنعه الله) بصيغة الماضي فمن ثم اكتفى في اطلاق الأسماء بورود الفعل اكتفى بمثل ذلك ، وأجاب غيره بأنه مأخوذ من قوله (صنع الله) ويتوقف أيضاً على القول بالاكتفاء بورود المصدر . وإني لأعجب من قول القائل إنه لم يرد ، وهو في حديث صحيح : (إن الله صانع كل شيء وصنعته) أخرجه الحاكم

(٣) جحا معدول عن جاح لا ينصرف ، وجحا خطأ ، وثاقف (لاعب بالسيف) ورمي كما قال الميداني ، وهناك جحا التابعي ، وجحا صاحب التفسير واسمه الخواجة ناصر الدين (توفي سنة ٣٨٠) كما في (نزهة الجليس) وجحا التركي هو العربي ، ولأبي اليمن الفغاري مؤلف في نوادر جحا يشتمل على ألف ورقة

وفي (أساس البلاغة) : قيل لجحا : على من خالتك ؟ قال : على أمي وأخياتي. يضرب فيمن قوته على الضعيف

---

(١) البيان والتبيين : من الخطباء والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار المجودة (لا المجلدة كما في طبعة هذا الكتاب) والسير الحسان المولدة والأخبار المدونة — سهل بن هرون الكاتب صاحب كتاب (نملة وعفرة) في معارضة كتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (الاخوان) وكتاب (المسائل) وغير ذلك

(قلت) : أخبرني الفقيه (القانوني) الأستاذ جريس سدا أن عنده نسخة مخطوطة من كتاب (نملة وعفرة) وقد توفي هذا الفاضل منذ سنين فهل لحقته تلك النسخة البتيمة ؟

(٢) في (القاموس المحيط) : عكاد كسحاب جبل قرب زبيد أهلها باقية على اللغة الفصيحة ، وفي (التاج) : عكاد كسحاب جبل باليمن قرب مدينة زبيد حرسها الله وسائر بلاد الاسلام ، أهلها باقية على اللغة الفصيحة إلى الآن ، ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم

فى زيد أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم فلا والله ما لحن أحد منهم إلا لحنة واحدة نقموها عليه

٣٤٠ — ما يقول هذا ؟

فى (خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر) للمحبي : مر بعض الظرفاء بغلام جميل فعثرت فرس فى طين أصاب وجه الغلام منه ترر ، فقال الظريف : « يا ليتنى كنتُ ترابا ! »

فقال بعض المارّين للغلام : ما يقول هذا ؟

فقال : « ويقول الكافر : يا ليتنى كنت ترابا » ...

٣٤١ — يعشق مطلق الجمال

فى (شذرات الذهب ، ونفح الطيب) : كان ابن الفارض[1] عشاقاً يعشق مطلق الجمال حتى إنه عشق بعض الجمال ، وولع به فكان يستأجره من صاحبه ليتأنس به[2] ، فقيل له : لو اشتريته فقال : المحبوب لا يُملك . وزعم بعض الكبار أنه عشق بَرنية[3] بدكان عطّار

وذكر القوصى فى (الوحيد) أنه كان للشيخ جوار بالبهنسا يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة[4] وهو يرقص ويتواجد . وكان أيام النيل يتردد إلى المسجد المعروف بالمشتهى فى الروضة ويحب مشاهدة البحر[5] مساء ، فتوجه إليه يوماً فسمع قصاراً يقصر ويقول :

قطع قلبي هـذا القطّع لا هو يصفو أو يتقطع

فصرخ وسقط مغمى عليه فصار يفيق ويردد ذلك ويضطرب ثم يغمى عليه وهكذا

٣٤٢ — الرئيس ، الصحة ، الغنى ، الشباب

فى (العقد) : قال الحجاج بن يوسف لحريم الناعم : ما النعمة ؟

قال : الأمن . فإنى رأيت الخائف لا ينتفع بعيش

قال له : زدنى

قال : فالصحة ، فإنى رأيت المريض لا ينتفع بعيش

قال له : زدنى

قال : الغنى ، فإنى رأيت الفقير لا ينتفع بعيش

قال له : زدنى

قال : فالشباب ، فإنى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش

قال له : زدنى . قال : ما أجد مزيداً[1]

٣٤٣ — ... ما سمعناه فى كتاب الأغانى

مسعود الدولة النحوى مقدم الشعراء فى أيام الأفضل أحمد بن بدر الجمالى أمير الجيوش المصرية :

ما أطاقوا تأمّل الجيش حتى كلت كل مقلة بسنان
غنّت البيض فى طُلاهم غناء ما سمعناه فى (كتاب الأغانى)!

٣٤٤ — خلعت ما لا تملك على من لا يقبل

حكي عن الشريف المرتضى أنه كان جالساً فى عِلّيّة[2] له تشرف على الطريق ، فمر تحته ابن المطرزي الشاعر يجر نعلا له بالية وهى تثير الغبار ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال له : أنشدنى أبياتك التى تقول فيها :

إذا لم تبلغنى اليكم ركائبي فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فأنشده إياها ، فلما انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف إلى نعله البالية وقال : أهذه كانت من ركائبك ... ؟

فأطرق المطرزى ساعة ، ثم قال له : لما عادت هبات سيدنا الشريف (أيده الله) إلى مثل قوله :

وخذا النوم من جفونى فإنى قد خلعت الكرى على العشاق[3]

عادت ركائبي إلى مثل ما ترى لأنك خلعت ما لا تملك على من لا يقبل ...

---

(١) الفارض : الذى يكتب الفروض للنساء على الرجال بين يدى الحكام (ابن خلكان ، الشذرات)

(٢) تأنس به : أنس به

(٣) البرنية : إناء من خزف ، شبه فخارة ضخمة خضراء وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه ج برانى (التاج).

(٤) فى (شفاء الغليل) : شبابة بالتشديد قصبة الزمر المعروفة ، مولد ، قال :

ومطرب قد رأينا فى أنامله شبابة لسرور النفس أهلها
كأنه عاشق والت حبيبته فضمها بيديه ثم قبلها

(٥) كل ماء كثير عند العرب بحر

(١) فى (تاريخ بغداد) : القاضى أبو يوسف (يعقوب صاحب أبى حنيفة) رؤوس النعم ثلاثة : فأولها نعمة الاسلام التى لا تتم نعمة إلا بها ، والثانية نعمة العافية التى لا تتم الحياة إلا بها ، والثالثة نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا بها

(١) العلية (بضم العين وكسرها وكسر اللام وتشديدها وتشديد الياء) الغرفة والجمع العلالى ، قال الأزهرى : علية (بالكسر) أكثر من علية (بالضم) وعلي (بكسر العين واللام وتشديد الياء) جمع علية

(٢) وقبله :

يا خليلى من ذؤابة بكر فى النصارى رياضة الأخلاق
غنيانى بذكرهم نطربانى واسقيانى دمعى بكأس دهاق